(٢) نوح عليه السلام وذريته

رقم الرباعيات (١٣-١٣٥)

وَيَخْتَارُ رَبُّ الْعَرْشِ خَيْرَ عَبِيدِهِ
أَلَا إِنَّهُ نُوحٌ زَعِيمُ جُنُودِهِ (١)
جُنُودٌ بِقَوْمٍ قَدْ أَتَوْا قَوِيدِهِ
وَنُوحٌ لَذُو عَزْمٍ لِطُولِ صُمُودِهِ

(١) نُوحٌ عليه السّلام أوّل رُسُلِ الله تعالَى.

ونُوحٌ لَبَّى دَعْوَةَ النَّاسِ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدْ
ولكنَّ كُفْرَ القَوْمِ ما فاقَهُ أَحَدْ
لَقَدْ ظَلَّ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِ بِجِدْ
ولكنَّهُمْ فَرُّوا كَحُمْرٍ مِنَ الأَسَدْ (١)

(١) الحُمُر، جمع حمار، والمراد الحمار الوحشيّ.

ونوح تيدعو للمهيمن في يسر
ونوح تيدعو للمهيمن في جهر
وعن السهل تيدعو للمهيمن والوعر
وعن برّه تيدعو إلى الله والبحر

وكانَ تمادَى القومُ فى الكفرِ والصَّدِّ (١)
وطولُ بدائِ قد دعاهُمْ إلى البُعْدِ
بآذانِهِمْ تلكَ الأصابعُ من جُهْدِ (٢)
لِتَمْنَعَ صوتَ الحقِّ يهدِى إلى الرُّشْدِ

(١) الصَّدّ : صدّ الآخرين عن نوح عليه السّلام ، ومنعهم من اتّباع نوح عليه السّلام .

(٢) وضع القوم أصابعهم فى آذانهم كى يمنعوا صوت الحقّ من الدّخول فيها ، ولم يكتفوا بوضع رءوس الأصابع .

وإذ عطّلوا سمعًا وسمعُ أبو الحِسّ (١)
فقد عطّلوا عينًا وهاجي في حَبْسِ
ثيابُهم غطّتْ على العينِ والرّأسِ
ألا إنّهم سارُوا مِنَ اللّبْسِ لِلّبْسِ (٢)

(١) السّمع أبو المَلَكات والحواسّ الخَمْس، وهي السّمع، والبصر، والشّمّ، والذّوق، واللّمْس.

(٢) اللّبس: الخَلْط وتمام البَصيرة.

وما كفَّ نُوحٌ عَنْ دُعاءٍ لِقَوْمِهِ
ولكنَّهُ يَدْعُوهُمُ كُلَّ يَوْمِهِ
إلى جَنْبِ ما قد جاءَ مِنْ طُولِ صَوْمِهِ
وذِكْرٍ كَثِيرٍ يُمَلِّيكَ بِنَوْمِهِ (١)

(١) يذكر نوح عليه السلام ربّه ذكرًا كثيرًا في نومه ومن باب الأولى في يقظته.

لَقَدْ جَدَّ نُوحٌ فِي الدُّعاءِ لِرَبِّهِ
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شَوْكٍ يُحَطُّ بِدَرْبِهِ
وَيَسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ غُفْرانَ ذَنْبِهِ
وَيَسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ تَسْهِيلَ صَعْبِهِ

أَلا إِنَّ نُوحًا قَدْ دَعَاهُمْ بِإِسْلَامِ
بِتَوْحِيدِ مَوْلَاهُمْ وَتَرْكٍ لِأَصْنَامِ
وَهَجْرٍ لِشِرْكٍ ذَاكَ قِمَّةُ آثَامِ
أَلَا إِنَّ دَاءَ الشِّرْكِ قِمَّةُ أَسْقَامِ

ولا يَغْفِرُ الرَّحْمٰنُ شِرْكاً لِعَبْدِهِ
فَهٰذا الَّذِي أَوْحَى الرَّحِيمُ لِجُنْدِهِ
جَمِيعُهُمُ أَعْمَلَ اللِّواءَ بِحَمْدِهِ
وَأَلْقَى بِداءِ الشِّرْكِ فِي عُمْقِ لَحْدِهِ

ونُوحٌ دعا قَوْمًا إلى هَجْرِ نَسْرِهِمْ (١)
وهَجْرِ لِأَصْنامٍ بَدَتْ أُسَّ شَرِّهِمْ
ولا تَمْلِكُ الأَصْنامُ جَلْبًا لِخَيْرِهِمْ
ولا تَمْلِكُ الأَصْنامُ دَفْعًا لِضُرِّهِمْ

(١) نسر: مِنْ أَصْنام القَوْم.

ومِنْ عَهْدِ نُوحٍ تِلْكَ أَصْنَامُهُمْ تَظُوْ (١)
ومِنْ عَجَبٍ وَدًّا تَقُوْمُ وقَدْ تَغُوْ
وعَنْ زَفَنِ أَصْنَامٍ بِقَبْرٍ لَقَدْ عَفَوْا
وعَنْ عَهْدِ طَهَ لِلْقُبُوْرِ لَقَدْ زُغُوْا (٢)

(١) من سورة نوح عليه السّلام الآية ٢٣ جاءت أسماء الأصنام على عهده عليه الصّلاة والسّلام. وبعض هذه الأصنام ظلّت أسماؤها إلى عهد محمّد صلّى الله عليه وسلّم الّذي قضى على الشّرك قضاءً مُبْرَماً.

(٢) طه: محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

مُحَمَّدٌ المُخْتَارُ أَكْرَمَهُ المَوْلَى

فَقَدْ زَفَّتْ أَصْنَامَ الكُفُورِ بِلَمْعَلا (١)
وَمِنْ قَبْلُ قَدْ زَفَّتْ الكُفُورِ بِلَبْلَوَى
بِبِيضٍ وَسُمْرٍ كُلُّهَا كَانَ قَدْ أَصْمَى (٢)

المَعْلا والمعلاة: مَقْبَرَةُ أهل مكّة المكرّمة في سَفْحِ جَبَلِ الحَجُون. وتقع أعلى مكّة المكرّمة.

(٢) أَصْمَى: قَتَلَ.

مُحَمَّدُ المُخْتَارُ مَوْلاهُ أَكْرَما
بِبَضْعِ خِصالٍ لَمْ تَجِئْ قَبْلُ مُسْلِما
ولَمْ تَأْتِ مَرْسُولاً عَزِيزاً مُكَرَّما
ولَوْ كانَ ذا عَزْمٍ مِنَ الرُّسْلِ صَمَّما (١)

(١) أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ خَمْسَةٌ معروفون بشِدَّةِ الصَّبْرِ، وهُمْ مُرَتَّبُونَ تاريخيّاً. نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ يَقْضِي على الشِّرْكِ
وَدَوْلَتُهُ تَقْضِي على كُلِّ ذِي إِفْكِ
وَدَوْلَتُهُ تَقْضِي على كُلِّ ذِي سَفْكِ
جَمِيعُهُمُ قد وَحَّدُوا اللهَ ذَا الْمُلْكِ (١)

(١) محمد صلى الله عليه وسلم قضى على الشرك قضاءً مُبْرَماً.

مُحَمَّدٌ الهادي بَنَى دَوْلَةَ العَصْرِ
بِيَوْمٍ أَتَى فِيهِ إِلَى طَيْبَةِ الطُّهْرِ
وَدَعْوَتُهُ سَارَتْ إِلَى البَرِّ وَالبَحْرِ
وَيَجْتَثُّ خَيْرُ الخَلْقِ شَرْكًا مِنَ الجَذْرِ

أبا ذا نجاح خصّ أحمد وحده
ومولاك ربّ العرش سخّر جنده
بأمرٍ من الرحمن تنصر عبده
وهاقد دنا الشرك يفقد رشده

بِدِينٍ هُوَ الإِسْلامُ قد جاءَ أَحْمَدُ
وجاءَ بِهِ كُلُّ النَّبِيِّينَ أَحْمَدُوا (١)
مَكارِمُ أَخْلاقٍ بِها جاءَ أَمْجَدُ
وَتَمَّمَها خَيْرُ الأَنامِ مُحَمَّدُ

(١) أحمدوا: أتوا بما يُحْمَدُونَ عَلَيْهِ دائماً.

أَلا إِنَّ طَهَ قَدْ بَنَى دَوْلَةَ الحَقِّ

أَلا إِنَّ دَاءَ الشِّرْكِ أَصْبَحَ فِي رِقِّ

وَهَذَا أَذَانُ الفَجْرِ قَدْ شَقَّ لِلأُفْقِ

وَدَعْوَةُ خَيْرِ الخَلْقِ تَمْتَدُّ كَالبَرْقِ

لقد جمع الكفار هزءا متع الكفر
وكانوا رأوا نوحا بعيدا من البحر
ويصنع بالخشاب فلكا وبالسّشر(١)
فقالوا بمرّ يصنع الفلك والقفر

(١) السّشر، جمع السّسار، بكسر السّال، بمعنى المسمار.

وقالوا نبيٌّ كان أصبح نجّارا
ويصنع فلكاً حجمها أشبه الدّارا
ولسنا نرى بحراً هناك وأنهارا
فهل يرتجى من البرّ يصبح بحّارا

مُحَمَّدٌ المُخْتَارُ يَقْضِي على النَّسْرِ (١)
ويَقْضِي على الأَصْنامِ مِنْ سالِفِ الدَّهْرِ
وها هُوَ داءُ الشِّرْكِ يُقْذَفُ في القَبْرِ
ولَيْسَ لَهُ مَأْوَى بِبَرٍّ ولا بَحْرِ

(١) النَّسْرُ: أحد الأصنام من عهد نُوحٍ عليه السَّلام.

لَقَدْ خَصَّ رَبُّ العَرْشِ طهَ بِإِفْضَالِ (١)
يُؤَدِّي إِلَى طَرْحِ لِشِرْكٍ مِنَ البَالِ
وَهَا هُوَ دَاءُ الشِّرْكِ يَبْدُو بِأَسْمَالِ (٢)
بِإِسْلَامِهَا أَرْضُ الجَزِيرَةِ فِي العَالِي

(١) إِفْضَال : إِحسان .
(٢) أَسْمَال ، جمع سِمْل ، بفتح السين والميم ، الثوب الخَلَق البالى .

ونُوحٌ أعانَ اللهُ بالصَّبْرِ والعُمْرِ

لقد ظَلَّ يَدْعُو قَوْمَهُ الحِينَ مِنْ دَهْرِ
ولَمْ يَسْتَجِبْ إلّا قَلِيلٌ أُولُو فِكْرِ
وكانُوا نَجَوْا في الفُلْكِ مِنْ لُجَّةِ البَحْرِ

ونوحٌ رسولُ اللهِ عانى مِنَ الكُفْرِ
وكانَ أتى مِنْ كافرٍ كاملُ الضُّرِّ
وها هُوَ ذا يأتيهِ مِنَ السِّرِّ والجَهْرِ
ويبقى لِنوحٍ بابُ ذِي الخَلْقِ والأَمْرِ

وكانَ مَليكُ العَرْشِ أَوْحَى لِعَبْدِهِ
بِإِدْراكِ كُفْرانٍ بِنِهايَةِ مَدِّهِ
فَكُلٌّ سَعِيدٌ بِالسُّواعِ وَوُدِّهِ (١)
بِإِرْضاءِ أَصْنامٍ تُمامُ لِسَعْدِهِ

(١) سُواع ووَدّ : صَنَمانِ لِقَوْمٍ.

فَلَنْ يُقْبَلَ الإِسْلَامُ مِنْ بَعْدُ كَافِرٌ

أَلَا إِنَّ كُلًّا فِي الغَوَايَةِ سَادِرُ

وَكُلُّ مِنَ الأَبْنَاءِ يَأْتِي لِفَاجِرٌ

بِهَذَا عَلَى كُلٍّ لِتَجْرِي المَقَادِرُ

ونُوحٌ لِيَدْعُو رَبَّهُ الواحِدَ البَرّا
أَلا إِنَّني عانَيْتُ يا خالِقِي ضُرّا
أَلا إِنَّني المَغْلُوبُ مَنْ يَرْتَجِي نَصْرا
ودَمْعٌ مِنَ العَيْنَيْنِ كانَ جَرَى نَهْرا

ونوحٌ ليَدْعُو اللهَ أن يَمحَقَ الكُفْرا
فطُغيانُهُ في الأرضِ كانَ قد استَشْرَى
وكانَ سَعَى في الأرضِ كَيْ يُحدِثَ الضُّرّا
وفي حَرْبِهِ التَّوْحِيدَ قد حاوَلَ النَّصْرا

إلهيَ لا يبقى على الأرضِ كافرُ
ولكنْ تضمُّ الكافرينَ المقابرُ
مُحمَّدُهمْ إيذاءُ مَنْ هوَ صابرُ
على طاعةِ الرَّحمنِ واللهُ قادرُ

وكانَ أجابَ اللهُ دَعْوَةَ عَبْدِهِ
وأَوْحَى بِصُنْعِ الفُلْكِ تَطْفُو بِجُنْدِهِ
وعَيْنُ مَلِيكِ العَرْشِ تَرْعَى لِرُشْدِهِ
وهاهِيَ ذِي فُلْكٌ تُشَادُ بِجُهْدِهِ

أَلا إِنَّ أَهْلَ الكُفْرِ بِالماءِ تُغْرَقُ
وَمِنْ بَعْدِ بَعْثِ النّاسِ بِالنّارِ تُحْرَقُ
وَيَنْجُو أُناسٌ غايَةَ الخَلْقِ حَقَّقُوا
بِأَنْ تَعْبُدُوا المَوْلَى وَلِلرُّسْلِ صَدِّقُوا

وَيَخْلُقُنا رَبُّ الأَنامِ لِنَعْبُدا
رَواكِعَ تَرانا رَاكِعِينَ وسُجَّدا
نُوَحِّدُ رَبَّ العَرْشِ كانَ لَنا هَدَى
أَلا إِنَّ رَبَّ العَرْشِ مَنْ كانَ أَوْجَدا

أَلا كُلُّ شَيْءٍ سِتاءَهُ اللهُ يَأْمُرُهْ
بِكافٍ ونُونٍ إِنَّهُ الأَمْرُ يَحْضِرُهْ (١)
وذا القَوْلُ رَمْزُ الأَمْرِ رَبُّكَ يَقْدُرُهْ
أَلا كُلُّ شَيْءٍ سِتاءَ رَبِّي يُقَدِّرُهْ

(١) حرفا الكاف والنون يشيران إلى إرادة الله تعالى المُطْلَقَة.

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ الأَنَامَ بِرُسْلِهِ
وَقَدْ خَصَّهُمْ رَبُّ الأَنَامِ بِفَضْلِهِ (١)
لِكُلٍّ أَتَى وَحْيُ المَلِيكِ بِعَدْلِهِ
وَفِي يَوْمِهِ ذَا الوَحْيُ يَأْتِي وَلَيْلِهِ

(١) نعمة الرسالة كبرى نِعَم الله تعالى على العبد، تليها نِعْمَةُ النُّبُوَّة.

ونوحٌ رسولٌ من أولي العزمِ والصبرِ
وقد ظلَّ يدعو قومَهُ الحينَ من دهرِ
ومن تبعوا نوحًا قليلٌ أولو حِجرِ (١)
أما لكلِّ شيءٍ خصَّهُ اللهُ بالعُمرِ

(١) الحِجر: العقل.

وكانَ شَكا لِلّهِ شِدَّةَ ضَعْفِهِ
وظُلْماً أَتى حَدَّ اجْتِهادٍ لِحَتْفِهِ
وقد دَبَّ يَأْسٌ أَنْ يَجِيءَ لِصَفِّهِ
مِنَ القَوْمِ فَرْدٌ يَشْتَدِي رَغْمَ أَنْفِهِ

ونوحٌ دعا مقولهُ أنْ يُهلِكَ الكفرا
ومقولكَ ربَّ العرشِ كانَ بهِ أدرى
وأوحى إلى نوحٍ ستأوردهُمْ بحرا
علامتهُ ذا القرنُ أجعلهُ زهرا

لَقَدْ حانَ وَقْتٌ فِيهِ نُوحٌ سَيَسْخَرُ
مِنَ القَوْمِ كُلٌّ قَلْبُهُ يَتَحَجَّرُ
وَمَنْ قَدَما نُوحٌ لَقَدْ ظَلَّ يَكْفُرُ
وَهذا ابْنُهُ فِي كُفْرِهِ يَتَبَخْتَرُ

بِوَحْيٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ ذِي الْفُلْكُ تُصْنَعُ
وَفِي بَاطِنِ الصَّحْرَاءِ هَا هِيَ تُرْفَعُ
وَيَكْلَؤُهَا رَبُّ الْوَرَى إِذْ تُصَنَّعُ
وَلَمَّا طَفَتْ بِالْمُؤْمِنِينَ تَجَمَّعُوا

مَليكُ القُرَى قد شاءَ لِلكُفْرِ يَغْرَقُ
وَلَيْسَ يُرَى مِنْهُ جَبِينٌ ومَفْرِقُ
وها هِيَ ذِي سُحْبٌ بِماءٍ لِتَفْهَقُ (١)
وها هِيَ ذِي أَنْهارُها تَتَدَفَّقُ

(١) تَفْهَقُ : تَصُبُّ صَبّاً شَدِيداً.

أَلا إِنَّ هذا البَرَّ صارَ إلى بَحْرِ
بِفَضْلِ التِقاءِ الماءِ في هَيْئَةِ القَطْرِ
ومِنْ بَعْدِهِ إِذْ جاءَ في هَيْئَةِ النَّهْرِ
ونُوحٌ بِفَضْلِ اللهِ يَأْخُذُ لِلْخِدْرِ

ومَنْ آمَنُوا بِاللهِ كُلٌّ مُصَدِّقُ
لِنُوحٍ رَسُولِ اللهِ فالماءُ يُغْرِقُ
وَلَمَّا دَعاهُمْ لِلسَّفِينَةِ أَعْنَقُوا (١)
وإذْ رَكِبُوا فيها فَكُلٌّ مُوَفَّقُ

(١) أَعْنَقُوا : أَسْرَعوا.

أَلَا إِنَّ كُلًّا يَحْمَدُ اللهَ رَبَّهُ
أَلَا إِنَّ رَبَّ الْعَرْشِ نَوَّرَ قَلْبَهُ
وَنُوحٌ رَسُولُ اللهِ بَيَّنَ دَرْبَهُ
وَنُوحٌ بِفُلْكٍ كَانَ قَدْ قَادَ صَحْبَهُ

سَفِينَةُ نُوحٍ إِنَّهَا الآنَ تُرْفَعُ
بِمَاءٍ فُرَاتٍ إِنَّهُ يَتَجَمَّعُ (١)
سَفِينَةُ نُوحٍ إِنَّهَا تَتَبَرْقَعُ (٢)
وَهَا هُوَ ذَا مَاءُ السَّمَاءِ لَيُمْنَعُ

(١) بِمَاءٍ فُرَاتٍ أَيْ عَذْبٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

(٢) تَتَبَرْقَعُ السَّفِينَةُ بِالغِطَاءِ أَوِ الأَغْطِيَةِ.

وهذا شِراعٌ لِلسَّفينةِ يُرْفَعُ
عَلَى اسْمِ مَلِيكِ العَرْشِ هَا هِيَ تُقْلِعُ
وَتِلْكَ مَجادِيفُ السَّفِينَةِ تَدْفَعُ (١)
أَلا إِنَّها مِنْ كُلِّ حالٍ لَتَنْفَعُ

(١) المجاديف، جمع المِجْداف، وهو خَشَبَةٌ مِنْ رَأْسِها لَوْحٌ عَرِيضٌ تُدْفَعُ بِهِ السَّفِينَةُ.